حكاية في فصل واحد

(ليل . ممر من القضبان الحديدية ، في وسطه زنزانة . الجوقة بملابس شعبية)

الجوقة

في هذا العصر المختار
قد يحيا خمسة اشخاص في خمسة امتار
ولقد يتربع شخص، او لص، واحد في دار ملايين خمسة
« يدخل المغامر والسجان ، ثم يقفان عند باب الزنزانة »

السجان

هذي هي الزنزانة السابعة

المغامر

فليقفوا باحترام

السجان

يا سيدي ، انهمو نائمون
فالساعة الان هي الرابعه
ولم يناموا أمس حتى انتصاف الليل .
كانوا في مقر الحرس .
وحين عادوا ــ او أعيدوا ــ رأيت الدم
في قمصانهم

المغامر

قد يبس ... طبعا

السجان

وحيوني ، وهم يعرجون !

المغامر

« يتقدم خطوة نحو باب الزنزانة »
اسمعوني
اسمعوني
اسمعوني

صوت الزنزانة

أيها الطارق بابا دون دار
أيها الطارق في الليل على باب النهار
ما الذي تحمله للساهرين
حول قمصان الدم اليابس والغصن السجين ؟
ما الذي جئت به دون انتظار ؟

المغامر

جئت أحييكم

صوت الزنزانة

ترى ، من أنت ؟ من ؟

المغامر

« للسجان »
لم يعرفوا صوتي ...

(للزنزانة)

أنا

صوت الزنزانة

من أنت ؟ من ؟

المغامر

أنا من سجنتكمو
ومن أقسمت ان تبقى سجوني
كمحطة للاختيار
بين الشوارع والمقابر
بين الازاهر والخناجر
ومحطة للانتظار

صوت الزنزانة

ألست تراه انتظارا طويلا ..
وليس اختيارا ؟
فمن لا يرجي السنابل بعد البذار
ومن لا يرى في الزهور الثمار
وفي زرقة البرق صوت الرعود ؟
فهل مطلع الشمس فيه اختيار ؟.
نعم .. ان فيه انتظارا

المغامر

أنا لست أعرف غير سيفي ..
انني رجل مغامر
لم أقرأ الكتب الجديده ...
يوما ، ولم انظر الى احداق شاعر
ولربما سرحت عيني عبر اعمدة الجريده
فلقد تعلمت القراءة والكتابة حين
كان أبي يتاجر
بالخردوات
وبالكراريس الصغيره
والمساطر
لكنني فكرت :
ما نفع القراءة والكتابه
ان لم تكن حدا لسيفي ؟
انني رجل مغامر
يا سادتي ، والامر ابسط من معادلة بسيطه
١ الى ١ = ٢
ها أنتم اولاء هنا وراء الليل والقضبان ،
أما « اللص » فهو على عباد الله ساهر !

صوت الزنزانة

قد تنقلب الكأس
قد ينقلب الرأس
نعلا ، قد تنقلب الصوره
فنراك وراء القضبان
تصفر امام السجان
وستنقلب الكأس
وستنقلب الصوره
فالعالم ليس بناعوره .
غامرت ، ولكن العالم
علم ، لا اسطوره
تاريخ العالم لا يهزم
حتى لو شوهت الصوره
والمنبع لا يهرم

المغامر

سأتركم هنا
تتنفسون عفونة الاسماك في الارض
ومثل الخبز في الماء
تذوب جلودكم ،
سأقودكم مثل الارقاء
وأمنع ليلكم تهويمة الغمض
اذا لم تتبعوا في الصبح ايمائي
وداعا ...

(للسجان) : أيها السجان ،
اترك كل زنزانه
وراقبهم هنا ...
سأعود ظهر اليوم
تأمر سيدي

السجان

(يبتعد المغامر عن الباب ويتبعه السجان)
السجان (لنفسه)
يا لعنتي ! لن أدخل الحانة

(يغادران)

الجوقة

في أعلى النخلة عصفور
يلهو بجناحيه النور
في « باب سليمان » المد
ووراء البحر ، الصاري ــ والميناء الابيض ، والهند
وسمرقند
والنجمة والسور

وهنا ... في ليل الزنزانه
اذ يشرب قلب أحزانه
سيظل بأعلى النخلة عصفور
وتظل سمرقند
وبباب سليمان المد
والنجمة والسور
لكن ...
اذ يلبس قلب أحزانه
اذ يزرع أحزانه
في المرآة
فهنا ، قد يسقط عصفور
من أعلى النخلة ،
قد يخبو النور ...
والسور ، فلا مد
في باب النهر ، ولا هند
وتذوب سمرقند
والنجمة تنطفيء
والسور الاحمر ينكفيء
في ليل الزنزانة

ثلاثة اصوات من داخل الزنزانة

الصوت الاول

كلماته التصقت عليه ، كأنما
التصق الذباب
بثيابه ، وكأنما اقتفت الكلاب
آثار سيدها ...
سنرقد نصف ساعة
ـ ان شئتمو ـ حتى يناديـنا
الحساء المستطاب !

الصوت الثاني

بين وادي النعاس ، واليقظة ، الجمر ـ
وبين النعاس ، والموت ، بيتي
افتحوا ، افتحوا النوافذ للنخل
أريد النخيل يمتص صوتي
في الجذور الاسفنج ، في السقف الشاحب
في تمرة على شفتي طفل ، وفي طلعة
على كف زارع
افتحوا ، افتحوا النوافذ ،
فالوديان تنأى
وتضمحل الخيول ...
ان أفراسها على صهوة الغيم ،
وأعرافها الندى والذهول

الصوت الثالث

فلننم نصف ساعة
وليكن ما يكون .
ما تراه العيون
تعتليه الشجاعة

الجوقة

نحكي لكم يا أيها السادة والسيدات
عن قصة الغصن ونهر الفرات
يقال :
ان الغصن يوما نزل
ليشرب الماء ، فقال الفرات :
أما رضعت اليوم من أمك الحلوة
... يا غصن ؟

فقال الصغير :
أحببت ان اشرب وحدي ، فقال النهر :

ما زلت صغيرا
فلم تقف على الارض
ولم تسمع الارض
وكم من غصن هم ان
يشرب من مائي
قليلا فمات
لكن غصن التوت لم يفهم النهر :
تدلى
وتدلى
والقى ثقله
أوراقه
مرة واحدة ،
فانكسر
ولم يزل يذكر نهر الفرات
صيحته الهشة والماء يطويه، ويلقيه
ويجري الفرات
كالنائم الساري ، وتجري الحياة

الصوت الاول

« اغفاءة »
يتوهج الصلصال تحت خطاي ،
ينتثر الحصى ذهبا وفضه
والماء ينبع من تلال الرمل ثم يغور فيه
يسقيه ، يسترضي حصاه ، ويمنح الالوان أرضه
أنى اتجهت تقد خطاي الشمس في أفق شبيه
صحراء ،
يا صحراء ،
يا صحراء ،
هل تخفين عن عيني زهرة ؟

الصوت الثاني

« اغفاءة »
شرفة في التلال
شرفة في التلال الخفيضه
يزرع الفجر فيها الصنوبر بين الزهور العريضه
شرفة أم سفينه ...
انني في السفينة أمضي ، ولا اقلع
انني اغرف الماء في راحتي
انني أغرق ...
عند سور المدينة

الصوت الثالث

« اغفاءة »
فوق قبري حمامة
تبتنى عشها ، فوق قبري علامة
سعفة ...
يا حمامة
يا أغاني تهامة
حين يأتي الربيع
حين يأتي الربيع بأوراقه المزهره
فاتركي لي علامه
انقري فوق قبري ، وغني تهامة
واحملي يا حمامه
خوصة ، احمليها اليها ...
واتركيها لديها ، علامة

(يدخل السجان)

(السجان) : « يدق على القضبان »
انهضوا
انهضوا
صوت من الزنزانة
آن أن ننهضا

(نشيد)

الصواري لها أجنحه
والنخيل له اجنحه
والجبل
مروحه .
والنوارس حول الشراع
كالمناديل قبل الوداع
والامل
كالذراع .
يا طريقا يشق النجوم
لن تغطي ذراك الغيوم
فالجبل
للنجوم .

الجوقة

لن نطيل الحكاية .
فلنقل : قد فهتم !
ولتقولوا :
وأين النهاية ؟

الجزائر **سعدي يوسف**